Frangzeil et Catchline ولم يقتصر الأشوريون على استعمال التعقيبة في ترقيم اللوحات واللفائف فقط بل استعملوا الترقيم بالأرقام كذلك .

(٨) ربما استعمل الحيثيون هذه الظاهرة قبل الأشوريين . فقد تبين بعد اكتشاف المكتبة الرسمية الحيثية بعاصمتهم (حتوساس Hahusas) أنه إذا كان النص في أحد الرقم (كتب أو لوحات) يكتمل في رقم آخر يبدأ بالجملة الأخيرة الواردة في الرقم السابق . انظر «تاريخ الكتاب» تأليف : د أ لكسندر ستيبتشفيتشن ترجمة محمد الأرناؤوط : القسم الأول ص٢٤ عالم المعرفة ١٩٩٣م .

(٩) نسبة إلى (أوغريت) وهي أطلال مدينة اكتشفت في رأس الشمرة بالجنوب الغربي لمدينة حلب بسوريا عام ١٩٣٠م . يبدو أنها كانت مزدهرة في الألف الثاني ق م . والمكتشفات عبارة عن لوحات طينية مكتوبة بالكتابة المسمارية باستثناء بعض الوثائق القليلة . ومعظم نصوصها مكتوب في لغة سامية يعتقد البعض أنها إحدى اللهجات الكنعانية القديمة بينما يعدها البعض الآخر لغة سامية غريبة إلى جانب الكنعانية والآرامية .

(١٠) نفر هي مدينة نيبور (Nippour) عاصمة السومريين الدينية في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد ، وكتابة اللوحات المكتشفة كتابة مسمارية .

(١١) اكتشفت بعض البرديات تحمل قسماً من إلياذة هوميروس فيها شيء يشبه التعقيبة .

(١٢) استمر استعمال التعقيبة عند البابليين والفرس إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد ، ومع بداية العصر الوسيط يلاحظ فقط استعمال العلامة وهي الترقيم بالحروف لترتيب الملازم .

(١٣) انظر فيزان (Vezin) : بعض الملاحظات حول ظاهرة التعقيبة .

(١٤) في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريز اكتشف في السبعينات من هذا القرن كتاب مطبوع في مطبعة القصر الملكي بكوريا بطريقة حديثة عام ١٣٧٩م . وقد صنف خطأ مع المخطوطات وربما يرجع السبب في ذلك إلى شدة التشابه الموجود بين المخطوطات والمطبوعات الاستهلالية . (Inaunables) .

(١٥) انظر أدستري : التنسيخ الجماعي في المخطوطات الجامعية في القرن الثالث والرابع عشر الميلادي ، باريز ١٩٣٥م .

Destrez : laplcia dans les manuscrits universitaires dans lexiiiet XIV siecle . paris 1935 .

(١٦) المخطوطات الجامعية هي تلكم المؤلفات التي تحتوي على إحدى المواد الأربع الأساسية المدرسة في جامعة باريز آنذاك وهي الفنون الحرة ، اللاهوت ، والقانون ، والطب .

(١٧) يثبت أحد الفيلولوجيين المحدثين بيشوف (Bischoff) أن استعمال التعقيبة انتقل إلى ألمانيا عن طريق إيطاليا في القرن الثاني عشر .

(١٨) بعض المخطوطات اللاتينية المنسوخة في إسبانيا في القرن العاشر والمحفوظة في الخزانة الوطنية بباريز بقسم المخطوطات الغربية تؤكد على أن التعقيبة كانت مستعملة في إسبانيا منذ القرن العاشر .

(١٩) يقول الحلوجي : «ولم تكن أوراق المخطوط العربي في أول عهدها تخضع لأي نوع من الترقيم ...» إلى أن قال : «ويبدو أن تلك التعقيبات لم تظهر إلا بعد القرن الرابع الهجري لأننا لا نجد لها أثراً في أي مخطوط من مخطوطات القرنين الثالث والرابع التي تحت أيدينا بما في ذلك المصاحف ، ومن يدري ؟ فلعل المستقبل يأتينا بجديد في هذا الموضوع» انظر : المخطوط العربي . ص١٦٧ الطبعة الثانية .

(٢٠) محفوظ بقسم المخطوطات الشرقية بالخزانة الوطنية الفرنسية بباريز تحت رقم 5902 Fol IV .

(٢١) انظر فهرست هذه الخزانة الذي وضعه المستشرق الإنجليزي ربري .

ARBERRY (A) ; The chester Beatty Library . Dublin . 1955 - 64 .

(٢٢) محفوظ بالخزانة الوطنية الفرنسية تحت رقم 6726 Fol 2v يظهر ومن أول وهلة ، أن التعقيبة من مداد وخط المخطوط نفسه .

(٢٣) انظر كوركيس عواد : أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ العراق ١٩٨٢م ، وقد أحصى فيه المؤلف ٧١٧ مخطوطاً ، غير أنه لم يقف على كل ما بقي من مخطوطات هذه الفترة كغريب الحديث لأبي عبيدة القاسم بن سلام المحفوظ بخزانة جامعة ليدن بهولندة والذي نسخ حسب الكولوفون (Colophon) في شهر ذي القعدة من عام ٢٥٢هـ الموافق لشهر ديسمبر عام ٨٦٦هـ . وهو بهذا التاريخ يعد أقدم مخطوط عربي مكتوب على الورق معروف حتى الآن ، ولا يحمل تعقيبة .

(٢٤) أخبرني بعض العبرانيين العاملين بالمركز الوطني للبحث العلمي بباريز أن التعقيبات العمودية قد ظهرت في المخطوط العبري منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، وخاصة عند النساخ الأشكيناز .

(٢٥) وقفنا على المخطوطين معاً في هذه الخزانة العظيمة . انظر فهرستها الذي صنفه المستشرق الألماني الورد (Ahlward) عام ٨٧ / ١٩٨٩م في عشرة مجلدات تضم آلاف المخطوطات العربية .

(٢٦) نلاحظ استعمال التعقيبة في المطبوعات الحجرية الأولى ، وقد استعملها الغربيون في المطبوعات منذ القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر الميلادي ، وبعد هذه الفترة قد حلت محلها العلامة (Signature) أي رقم أو حرف في أسفل الورقة أو الملزمة .

التعقيبة في المخطوط العربي

أحمد شوقي بنبين

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس - الرباط

إن دراسة المخطوط العربي دراسة مخطوطية كوديكولوجية لا تزال في بداياتها الأولى، على الرغم من المجهودات التي يقوم بها بعض الأفراد والجماعات في مختلف المراكز العلمية الأوربية. فإذا كان القدماء يشيرون عرضاً في تصانيفهم ومصادرهم إلى بعض عناصر علم المخطوطات العربي؛ فإن المحدثين لم يستطيعوا حتى الآن ملء هذا الفراغ إذ لم يدرسوا المخطوط العربي بوصفه قطعة مادية تمكن الباحثين في مجال الفيلولوجيا من الكشف عن عدد من القضايا الفكرية والحضارية والتاريخية والاقتصادية قد لا يمكن اكتشافها أو استنباطها إذا اقتصر البحث فقط على تناول متون هذه المخطوطات. أما المخطوط الغربي فلقد خطا خطوات كبيرة في هذا المجال مما جعل الاقتداء بعلماء الغرب والاستفادة من تجاربهم في علم المخطوطات ضربة لازب بالنسبة للباحثين من العرب والمستشرقين - على قلتهم - المهتمين بهذا العلم. ومن موضوعات هذا العلم التي لم تدرس حتى الآن دراسة مخطوطية بل مازالت حقلا بكرا في التراث العربي ظاهرة وقف الكتب (١) ودوره في تأريخ المخطوط غير المؤرخ، ومسألة الرموز والاختصارات (٢) في المصنفات القديمة وعلى الأخص منها كتب الحديث، وظاهرة الكراس أو الكراسة (٣) وتقنية التعقيبة التي هي موضوع هذا البحث.

التعقيبة (٤) عبارة عن نوع من الترقيم استعمله القدماء لترتيب المؤلفات من جهة، ولمساعدة المختصين في صناعة المخطوط، كالمترجمين والمسفرين وسواهم، في ترتيب ملازم المخطوط من جهة أخرى، ولم يكن المخطوط العربي ليختص وحده بهذه الخاصية؛ بل اننا نجدها في معظم مخطوطات اللغات الأخرى من سامية وهندية، أوربية قديمة أو وسيطية، فمتى ظهرت التعقيبة كلون من ألوان الترقيم في المخطوط بوجه عام؟ ومن كان أسبق إلى الاهتداء إلى استعمالها في المخطوطات؟ وهل كان هناك تأثير وتأثر بين مجموعات النساخ في مختلف البقاع والعصور فيما يخص استعمال هذه التقنية؟

يبدو من خلال الأبحاث الكوديكولوجية الخاصة بهذه الظاهرة (٥) أن التعقيبة كانت معروفة في اللغات السامية وفي بعض اللغات الهندية الأوربية في العصر القديم واختفت في القرون المسيحية الأولى وطوال العصر الوسيط لتعود إلى الظهور خلال النهضة الأوربية الأولى في القرن الثاني عشر الميلادي ثم إلى الانتشار في مختلف اللغات الغربية قبيل عصر النهضة الحديثة. وفي اللوحات (٦) الطينية المكتشفة في مكتبة أشور بانبال في مدينة نينيوي القديمة بالعراق، التي ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد اعتاد النساخ أن يعيدوا كتابة آخر سطر (٧) من اللوحة السابقة في اللوحة التي تليها وذلك ليتمكن القارئ من قراءة متتابعة، ولم تكن هذه الظاهرة لتقتصر على اللوحات المنسوخة في عهد أشوربانبال فقط (٨) بل تم العثور على لوحات أخرى في المكتبة نفسها نسخت في عهود سابقة تحمل هذا اللون من التعقيبة، وتؤكد مكتشفات «أوكَرِيت» (٩) استعمال هذه الظاهرة في اللغات السامية الأخرى حيث إن اللغة الأوكاريتية تستعمل نوعاً من التعقيبة لا يختلف كثيراً عن تلكم التي يستعملها أهل بابل وأشور، مما يدل على انتشار استعمال هذه التقنية في مخطوطات اللغات القديمة تلكم الوثائق التي اكتشفت في هيكل «بعل» بمدينة نفر (١٠) بالعراق حيث ظهرت عليها تعقيبات على غرار التعقيبات السالفة الذكر.

وقد لاحظ المختصون في علم المخطوطات الإغريقي أن النساخ اليونانيين في العصر القديم استعملوا تقنية مشابهة لتقنية الأشوريين لترتيب لفافات البردية الواحدة (١١) إن المتتبع لهذه الظاهرة في المخطوطات القديمة يلاحظ أن استعمالها ينتهي بانتهاء العصر القديم (١٢) حيث إنها

تختفي في العصر الوسيط ولم تعد إلى الظهور في مخطوطات الغرب إلا في القرون القليلة التي سبقت عصر النهضة الحديثة (١٣) . يلاحظ المختصون في الكوديكولوجيا الإغريقية مثلاً أن المخطوطات اليونانية الوسيطية كانت مرقمة ولم تعد إلى نظام التعقيبة إلا في عصر النهضة ، باستثناء الحالات الشاذة التي ترجع إلى ما قبل هذا العصر بقليل ، ويؤكد المختصون أن العودة إلى هذا النظام كان نتيجة الاحتكاك الذي تم بين اليونان والثقافة اللاتينية بحيث كان النساخ اللاتينيون ، في بداية العصر الوسيط ، يرقمون الملازم لترقيب المخطوطات برقم في ظهر آخر ورقة الملزمة أو في وجه أول ورقة منها . وفي أواسط هذا العصر أصبح يلاحظ في المخطوطات اللاتينية استعمال الحروف محل الأرقام ويسمى هذا الاستعمال بوضع العلامة . وبعد القرن العاشر الميلادي حيث بدأت أوربا تستيقظ من سباتها وتحتك بمختلف الحضارات والثقافات كالثقافة العربية مثلاً ، أصبح يلاحظ في مخطوطاتها استعمال التعقيبة وهي كتابة كلمة أو كلمتين من الملزمة التالية على ظهر آخر ورقة من الملزمة السابقة . فما هو إذن السبب الذي دفع النساخ اللاتينيين إلى الانتقال من الترقيم بالأرقام ثم بالحروف إلى الترقيم بالتعقيبة ؟ هل كان ذلك بمحض الصدفة أم حدث تأثر و تأثير بين هذه الشعوب ذات اللغة اللاتينية أو اللغات المتفرعة عنها وبين أجناس أخرى كانت تستعمل هذه التقنية ؟ إن الكوديكولوجيين الغربيين لم يدركوا العوامل التي دعت إلى التحول من نظام الترقيم والعلامة إلى نظام التعقيبة ، على كل الحال إن الشعوب الغربية أصبحت تستعمل هذه التقنية في مخطوطاتها في القرون الأخيرة من العصر الوسيط على غرار الشعوب السامية ، فإذا تم هذا عن طريق الصدفة فإنه يعد شيئًا ممكنًا عند علماء الأنثروبولوجيا الذين يعدون أن تشابه التقنيات لا يعني بالضرورة وجود علاقة بين المجموعات التي اهتدت إلى استعمالها ، فالطباعة بحروف متحركة (١٤) مثلاً هي تقنية قد ظهرت عند شعبين مختلفين هما الصين وكوريا من جهة و أوربا من جهة ثانية ، ولم يعثر الباحثون على أية دلائل تثبت وجود علاقة ما بين هذه الشعوب التي اهتدت بمحض الصدفة إلى هذه الظاهرة .

أما إذا كان اهتداء هذه الشعوب إلى استعمال هذه التقنية في المخطوطات الغربية ناتجًا عن التأثر والتأثير ، فما هي أقدم المخطوطات التي تحمل التعقيبة في مختلف اللغات الأوربية في آخر عصور العصر الوسيط ؟ بعبارة أخرى ما هي اللغة التي سبقت إلى استعمال هذه التقنية ثم تكون قد أثرت في اللغات الأخرى ؟ يجمع الباحثون على أن استعمال نظام التعقيبة في العالم اللاتيني بدأ منذ القرن الحادي عشر الميلادي - وما كان قبل ذلك يعد شاذًا - وكاد يكون عامًا في نهاية القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر حيث ظهرت الجامعة لأول مرة في البلاد الغربية ، يقول «دستري» (١٥) : إن التعقيبة ظهرت مع بداية جامعة باريز خصوصًا فيما كان يسمى بالمخطوطات الجامعية (١٦) . وتثبت الأبحاث الكوديكولوجية الأخيرة أن أولى الدول الغربية التي استعملت مبكرًا التعقيبة في ترتيب المخطوطات هي إسبانيا وإيطاليا ، ومنها انتقلت هذه التقنية إلى باقي اللغات الغربية (١٧) . يلاحظ في فرنسا أن أقدم المخطوطات الفرنسية التي استعمل فيها نظام التعقيبة تلكم التي نسخت في الجنوب الغربي الذي عرف نشاطًا ثقافيًا كبيرًا واتصالاً علميًا مهمًا مع مملكات الإسبان المسيحية في القرن الحادي عشر الميلادي ، ومن المحتمل أن يكون قد تمخض هذا التلاحم بين الجانبين عن تأثر الفرنسيين بطرق النساخة الإسبانية ، ولا شك أن هذه الطرق تحمل من بين ما تحمل نظام التعقيبة ، والسؤال المطروح الآن هو التالي : كيف اهتدى كل من إسبانيا وإيطاليا إلى نظام التعقيبة في المخطوطات في مدة مبكرة ؟ هل أثر أحدهما في الآخر أم أخذ الطرفان معًا من منبع ومصدر واحد ؟ (١٨) احتمال ظاهرة التأثير والتأثر احتمال مستبعد لتباعد البلدين جغرافيا وليس هناك ما يثبت وجود علاقة ثقافية ما بينهما على الرغم من كون اللغة الإسبانية واللغة الإيطالية لغتين لاتينيتين ، يحتمل إذن أن يكون البلدان قد نهلا من مصدر واحد . فما هو المصدر الذي من المحتمل أن يكون قد أثر في البلدين معًا من حيث طرق نساخة المخطوطات ؟

إن نظام التعقيبة الذي اختفى في مخطوطات اللغات العربية في القرون الأولى من العصر الوسيط قد ظل معمولاً به في بعض اللغات السامية وعلى الأخص منها اللغة العربية ، وإذا بحثنا في العلاقات بين كل من إسبانيا وإيطاليا وبين إحدى الشعوب السامية في هذه الفترات نجد أن للدولتين الأوربيتين معًا علاقات اجتماعية وثقافية

مع العرب منذ أواخر القرن الأول الهجري بالنسبة لإسبانيا ومنذ القرن الهجري الثاني بالنسبة لإيطاليا خاصة صقلية ، إنه لايخفى على أحد ذلكم التلاحم والتمازج اللذان سادا هذه الشعوب عدة قرون ، وذلكم النشاط الثقافي الكبير الذي اتسم به العقل العربي في كل من صقلية ومدن إسبانيا المسلمة ، خاصة في ميدان الترجمة التي لعبت دوراً أساسياً وفعّالاً في تطوير الحضارة الغربية ، ومن المحتمل جداً إذن أن تكون طرق نساخة المخطوطات العربية بما في ذلك نظام التعقيبة قد دخلت ميدان النساخة في البلدين المذكورين باعتبار العلاقات المتينة التي كانت تربط بينهما وبين العرب .

انطلاقًا من اعتقادنا بصحة هذا الاحتمال انبرينا للبحث في استعمال هذه التقنية في النساخة العربية ، وذلك بدراسة أقدم مابقي من مخطوطاتنا المحفوظة في مختلف الخزانات العالمية . يعتقد المختصون في هذا المجال أن التعقيبة لم تظهر في المخطوط العربي إلا بعد القرن الرابع الهجري وأن النساخ العرب المسلمين لم يستعملوا أية وسائل أخرى لترقيم المخطوط (١٩) ، فكيف يقبل عاقل هذا الرأي ؟ أيعقل أن ينسخ مخطوط بدون اللجوء إلى وسيلة من الوسائل لترتيب أوراقه تيسيراً على قارئه أو دارسه ؟ إن البحث عن المخطوطات القديمة ودراستها دراسة كوديكولوجية حديثة لمن شأنه أن يثبت عكس ما قاله بعض المختصين في شأن التعقيبة وترقيم المخطوطات بوجه عام . وقبل القيام بهذا العمل العلمي الذي يفتقر حتى الآن إلى كفاءات مادية وبشرية في العالم العربي ، نكتفي بالإشارة إلى مجموعة من المخطوطات القديمة التي ظهرت فيها التعقيبة قبل القرن الخامس بكثير. وقد فحصنا بعضها وثبت لدينا حسب تجربتنا المتواضعة أن التعقيبة أصيلة في المخطوط ولم تكن من إضافة ناسخ آخر كما قد يكون محتملاً بالنسبة لمخطوطات أخرى . قد وصل إلى علمنا أن الخزانة الظاهرية بدمشق تحتفظ بنسخة من ديوان الفرزدق بها تعقيبة وقد نسخت عام ٣٣١هـ أي في القرن الرابع الهجري ، وتضم الخزانة الوطنية الفرنسية بباريز نسخة من كتاب «المدخل الكبير في علم أحكام النجوم» لأبي معشر البلخي نسخها على المطرز عام ٣٢٥هـ وقد استعمل نظام التعقيبة لترتيب الكتاب (٢٠) .

وتحتفظ خزانة جستر بيتي (دبلن ، إيرلندة) بمخطوط بخط ابن البواب يحمل تعقيبة ، وقد نسخه عام ٣٩١ للهجرة (٢١) . إذا كانت هذه النماذج ترجع كلها إلى القرن الرابع الهجري فإن بعض ما بقي من مخطوطات القرن الثالث يحمل التعقيبة كذلك ، ككتاب تاريخ ملوك العرب لعبدالملك الأصمعي الذي نسخه ابن السكيت بخط يمينه في العاشر من شهر شوال عام ٢٤٣هـ (٢٢) ، وقد بدا لنا بعد الفحص الشديد أن اليد التي نسخت الكتاب هي التي وضعت التعقيبة بحيث يلاحظ تشابه تام بين الحروف . وقد يدل هذا على استعمال هذا النظام منذ البدايات الأولى للتأليف العربي ، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا ينبغي اعتبار هذه التقنية ظاهرة عامة في المخطوط العربي بحيث إن مجموعات أخرى من مخطوطات القرنين الثالث والرابع لا تحتوي على تعقيبة (٢٣) ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى عدم استعمالها في جميع مراكز التنسيخ الشرقية أو لأنها ضاعت أثناء ترقيم المخطوطات وتفسيرها في فترات متعاقبة من التاريخ حيث كان مقص المسفر لا يعرف إلى الرحمة من سبيل ، ولا يعد هذا غريبًا إذا تتبعنا دراسة هذه التقنية في المخطوطات العربية التي نسخت بعد القرن الخامس الهجري .

إن الوقوف على مجموعات خطية ترجع إلى القرنين الخامس والسادس الهجريين يؤكد ما قلناه بالنسبة لمخطوطات الفترات السابقة . بعضها يحمل تعقيبة بدون ترقيم ، وبعض آخر يحمل التعقيبة في بعض الأوراق أو في جزء من أجزاء المخطوط ، وصنف ثالث يستعمل التعقيبة حسب الكراريس بحيث لا تظهر التعقيبة إلا بعد إحصاء عشر ورقات ، وقد تظهر أحيانًا فقط في ثلاث أو أربع ورقات في المخطوط كله ، وقد لا نجد لها أثرًا في كثير من مخطوطات هذا العهد . وقد تكون عبارة عن حرف أو كلمة أو كلمتين أو عبارة ، وقد تكون حرفًا في الجزء الأول من المخطوط وكلمة في الجزء الآخر . ومن حيث شكل كتابتها فإنها تكون على العموم أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الورقة أو في وسطها ، وقد تجيء أحيانًا عمودية (٢٤) كما جاء في كتاب «شرح الألفات» لأبي بشار الأنباري وكتاب شرح منازل السائرين للكاشاني المحفوظ كلاهما بمكتبة برلين الوطنية بألمانيا (٢٥) ، إن الملاحظات التي نبديها بالنسبة لمخطوطات الفترة

السالفة الذكر قد نعثر عليها في مخطوطات العصور الإسلامية المتأخرة . فما هي إذن الأسباب التي يمكن أن تكون وراء هذه الاستعمالات المختلفة لهذا العنصر الصغير من عناصر علم صناعة المخطوط في المخطوطات العربية منذ بداية التأليف إلى عصر الطباعة ؟ (٣٠) ، إن المخطوطات التي ينعدم فيها الترقيم سواء بالتعقيبة أو بالأرقام أو بالعلامة أو تلكم التي ترقم بواسطة التعقيبة ولم يبق منها إلا الحرف الأول من الكلمة ، هي مخطوطات أعيد تجليدها وترميمها عبر القرون في غالب الظن ، فلا يمكن أن ينسخ مخطوط ويجلد دون أن يلتجئ الناسخ أو الصانع إلى نوع من أنواع الترقيم المذكورة ليمكن تتبع قراءة الكتاب ، كما لا يعقل أن تظهر التعقيبة كاملة في بعض الأوراق ولا يظهر منها إلا الحرف الأول في بعضها الآخر ، أما فيما يخص المخطوطات المرقمة بالتعقيبة في أشكال مختلفة فإن ذلك يرجع إلى اختلاف مراكز النسخ التي تمت فيها نساخة هذه المخطوطات على الرغم من تزامن النسخ، ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات بصفة نهائية إلا بالوقوف على مجموعات خطية متزامنة نسخت كل مجموعة منها في مركز معين . فتحديد الزمان والمكان هو الشرط الذي يمكننا من دراسة الاستعمالات المختلفة لهذه التقنية ، ولن يتأتى هذا بمجرد دراسة رصيد مكتبة واحدة أو مكتبتين لأن أرصدة مختلف المكتبات من المخطوطات العربية تتكون من مجموعات ذات مصادر مختلفة متعددة . وبالإضافة إلى ذلك فإن العديد منها يفتقر إلى ذكر مكان النسخ كما يحدث غالباً بالنسبة لاسم الناسخ وتاريخ النسخ ، إن تحديد أنماط التعقيبة في المخطوط العربي يدعو إلى وضع نوع من الفهارس أو الكشافات يسمى فهرس أو كشاف المخطوطات المنسوخة في المكان الواحد كما نصنع الآن في مختلف المكتبات والمراكز العلمية بالنسبة للمخطوطات المؤرخة التي وضعت لها فهارس خاصة ، إن هذه الكشافات هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الكوديكولوجي أو المختص في علم المخطوطات من دراسة هذه التقنية وأنواع استعمالاتها في المخطوط العربي ، وبدونها قد يتعذر البحث في هذا المجال ، وما وقفنا عليه من مخطوطات عربية في مختلف الخزانات الدولية لا يكفي لاستخلاص نتائج نهائية تتعلق بنظام التعقيبة ، وإن احتمال ظهورها في المخطوطات العربية قبل غيرها من مخطوطات اللغات الغربية في القرون الأخيرة من العصر الوسيط يستوجب المزيد من البحث في المخطوطات العربية وفي مخطوطات إيطالية وإسبانية خاصة تلكم التي نسخت في شمال البلاد منذ القرن الرابع الهجري ، إن هذه المخطوطات تعد الجسور الثقافية التي أوصلت الثقافة إلى الغرب وإن دراستها تدعو إلى الإلمام بالباليوغرافيا خاصة الباليوغرافيا اللاتينية التي كتبت بها لغات الثقافة في أوربا في العصر الوسيط ، وهذا النوع من البحث المقارن حتى الآن عبارة عن محاولات فردية ، ولن يصل إلى النتائج المتوخاة إلا في إطار مؤسسات دولية على أن تقوم به جماعات من الباحثين يعرفون لغات الغرب القديمة ، وبما أن هذا النوع من المؤسسات غير موجود وأن الملمين باللغة اللاتينية من العرب المختصين في علم المخطوطات قليلون فإن دراسة التعقيبة تكاد تكون دراسة متعذرة في الوقت الراهن ، فليكن إذن هذا البحث المتواضع نداء إلى المختصين في هذا المجال لينهضوا بمثل هذه الأبحاث التي قطعت أشواطاً مهمة في الدراسات الكوديكولوجية الغربية .

الهوامش

(١) انظر بحثنا عن ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، العدد ٦٣ ، سنة ١٩٨٨م .

(٢) على الرغم مما قام به القدماء ، أمثال العراقي والنواوي وعياض وأبي الصلاح وابن جماعة والعلموي والخطيب البغدادي صاحب كتاب الجامع لأخلاق الراوي والسامع الذي لم يصل إلينا ، فإن هذه المسألة لا تزال بحاجة إلى معالجة المحدثين لها معالجة مخطوطية .

(٣) الكراسة في معظم المخطوطات هي عشر ورقات وقد تكون ثماني كما قد تكون إحدى عشرة ورقة فهل يرجع هذا الاختلاف إلى تعدد مراكز النساخة أو إلى أسباب أخرى لم يتم الكشف عنها حتى الآن .

(٤) يقال لها الرقاص أو الوصلة في الجامعات المغربية العتيقة كالقرويين وأبي يوسف .

(٥) خاصة البحث الذي قام به الأستاذ «فيزان» حول التعقيبة في موضوع : «بعض الملاحظات حول ظاهرة التعقيبة» (بالفرنسية) .

(٦) معظم هذه اللوحات محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني بلندن . إن الملك الذي جلس على عرش آشور بين ٦٦٨ و ٦٢٦ ق . م قد جمع في قصره مكتبة كانت تضم وثائق جد مهمة تتعلق بملكه وملك من سبقه من الملوك كما كانت تضم نسخاً من أهم النصوص المتعلقة بآداب البابليين القديمة .

(٧) أطلق كل من الألمان والإنجليز على هذا اللون من التعقيبة كلمتي